**اِبن رشد بين الشّعر والسّينما**

إذا كانت نكبة ابن رشد تعود أسبابها المباشرة إلى تهجينه أمير المؤمنين عند كتابته مصنّفه حول الحيوان الذي ذكر فيه أنواعها ونعت كل واحد منها فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : قد رأيت الزرافة عند ملك البربر ويعني بذلك المنصور ولم ينفع ابن رشد تفسيره ذلك عندما قال له إنما كتبت ملك البرّين ـ أي الأندلس والمغرب ـ وهو الذي كان متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء خاطب المنصور بأن يقول له : تسمع يا أخي.

أما الأسباب الأخرى فهي تعود إلى تهمته بالزندقة عندما وجد بخط يده – والله أعلم – (قد ظهر أن الزُّهرة أحد الآلهة) وكذلك اُتّهم بالمُروق عن الدّين عندما اِشتد الجزع في قرطبة بقرب هبوب ريح قوية تهلك العباد والبلاد فدعي ابن رشد للتباحث في شأن هذا الأمر فما كان منه إلا أن قال في المجلس واللّه وجود عاد ما كان حقا فكيف سبب هلاكهم !

لكنّ الذين اِهتمّوا بسيرة ابن رشد مثل ابن الآبار يكبرون فيه علمه وتقواه ويمانه أيضا مثل قولهم فيه وكان على شرفه أشدّ الناس تواضعا وأخفضهم جناحا غنيّ بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله وقد وُلّي قضاء قرطبة فحُمدت سيرته وتأثرت له عند الملوك والجاه العظيم ولم يصرفها في الترفّع ولا جمع مال إنّما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ومنافع أهل الأندلس خاصة.

وينقل بعضهم أمر نكبته ناسبا قوله إلى اِبن رشد نفسه وهو يتحدث عن تجربته تلك قائلا : " أعظم ما طرأ علي في النكبة أنّي دخلت أنا وولدي عبد الله مسجدا بقرطبة وقد حانت صلاة العصر فثار لنا بعض السّفلة العامة فأخرجونا منه "

وكان للشّعر نصيب هو كذلك في نكبة اِبن رشد فقد قال أحد الشّعراء المعاصرين له عنه محنته وهو أبو الحسين بن جبير :

 **لم تلزم الرّشد يا اِبن رُشد**

 **لمّا على في الزّمان جِدُّكْ**

 **وكنتّ في الدّين ذا رياء**

 **ما هكذا كان فيه جَدُّكْ**

وهو يشير إلى منزلة جَدّ ابن رشد في القضاء ولهذا الشّاعر عديد القصائد يرمي فيها ابن رشد بالمُروق والزندقة مؤيدا أمير المؤمنين:

 **خليفة الله دُم للدين تحرسُه**

 **من العِدى شرَّ شرَّ فئهْ**

 **فاللّه يجعل عدلا من خلائقه**

 **مُظهرا دينه في رأس كلّ مائهْ !**

غير أن شريط "المصبر" للمخرج يوسف شاهين فيه اِنتصار لاِبن رشد لكأنّ شاهين أراد أن يكتب محنته من جديد مسلطا عين الكاميرا على خفايا النكبة والتي من بينها حرب الأمير الموحّدي المنصور ضدّ الإسبان وحاجته إلى مساندة من العامّة التي أراد أن يقترب منها بالمناورة على تناقض التيارات الفكرية وقتئذ ننس أن الدولة الموحدية قد نشأت على أنقاض الدولة المرابطية التي تتلمذ مؤسّسها على يد الغزالي الذي كان ضد الفكر الفلسفي والعقلي خاصّة فالقضية في محنة اِبن رشد التقت فيها عدة عوامل شياسية وشخصية وفكرية لكن شريط يوسف شاهين كأني به أراد توظيف محنة اِبن رشد في حلبة الصّراع الفكري بمصر وخاصة عندما صوّر أن أحد الأبطال في الشّريط قد طعن بخنجر مثلما طُعن نجيب محفوظ تماما

إنّ السؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا جعل يوسف شاهين كتب اِبن رشد تُهرّب إلى مصر بينما التاريخ لا يذكر ذلك ! فما الغرض من ذلك ؟